رحيل

الشِّعر الذي اختار الخفوت والاقتراب من الأرض

فيليب جاكوتيه سيكون الحِبر ظلّاً

برحيل الشاعر السويسري فيليب جاكوتيه (1925 ـ 2021)، قبل أيّام، تكون القصيدة المكتوبة باللغة الفرنسية قد طوت مرحلةً كاملة، أضاءتها سلسلةٌ من القامات الشعرية. خلال عقود من الكتابة، بحث جاكوتيه عن قصيدة يغيب فيها الاشتغال الصنعة، وتحضر الأرض

محمود الحاج

حتّى صباح الثلاثاء الماضي، كان فيليب جاكوتّيه، في نظر كثيرين، أبرز اسم شعريّ حيّ باللغة الفرنسية. اليوم، بعد مغادرته عالمنا، عن ستة وتسعين عاماً تقريباً (1925 ـ 2021)، لا يسع إلّا القول بأنّ مرحلةً من عمر القصيدة المعاصرة المكتوبة بالفرنسية قد اختُتمت. مرحلةٌ أضاءتها سلسلةٌ من القامات تبدأ بمواطنه ومعلّمه، السويسري غوستاف رو، وتمتدّ حتى الفرنسي إيف بونفوا، الذي رحل قبل خمسة أعوام.

ليس في الحديث عن انتهاء زَمَن شعريّ برحيل جاكوتّيه أيّةُ استعارة أو مبالغة. أو هذا على الأقلّ ما نعتقده. كان الشاعر السويسري من القلائل الذين منحوا القصيدة المكتوبة بالفرنسية اسمها في النصف الثاني من القرن العشرين، والذين شغلوا مساحات واسعة من الفضاء الأدبيّ الفرانكفوني بقصائدهم ونصوصهم السردية وترجماتهم. بعبارةٍ أخرى، كان لهذا المشهد الأدبيّ أن يأخذ ملمحاً مختلفاً في الأغلب، لولا هذه الحفنة من التجارب الأساسية والمؤسّسة، والتي كانت تجربة الشاعر السويسري من بينها. بين «اليومة وقصائد أخرى»، مجموعته الشعرية الصادرة عام 1953، و«كتاب المادريغال الأخير»، الذي يصدر هذا الخميس، لدى «منشورات غاليمار»، مع كتاب ملاحظات حول ذبر لا كلارتيه نوتردام الواقع قرب مكان سكنه، في قرية غرينيان، جنوب شرق فرنسا، وقع جاكوتّيه أكثر من سبعين عنواناً بين شعر ونثر وبيوميّات ومحاولات وترجمة. لكنّ الشعر ظلّ محور هذه التجربة التي استمرّت نحو سبعة عقود، بحيث تفضي إلى القصيدة، أو تأخذ منها أفقاً، أغلبُ الأعمال التي وضعها جاكوتّيه. تُستثنى من هذا، ربّما، ترجمته الفريدة لأعمال روبرت مؤزيل السردية ولبعض الروايات، والتي وضعها في بدايات تجربته، في وقتٍ كان العمل الترجميّ يمثّل أحد مصادر دخله الأساسية.

شكّلت «اليومة وقصائد أخرى»، ومن بعدها «الجاهل» (1958)، الباب الذي دخل منه جاكوتّيه المشهد الشعريّ الفرانكفوني. كان الشاب السويسري قد غادر توًّا باريس، التي أقام ستّ سنوات فيها، قادماً من لوزان (وُلد في مدينة مودون، غرب سويسرا)، وعايش غليانها الإبداعيّ والفكريّ كمترجم وشاعر صاعد. فضّل الابتعاد عن صخَب العاصمة وسُلطة أسمائها اللامعة، واختار قرية غرينيان في إقليم دروم، التي كان هدوؤها وطبيعتها ومساحتها الصغيرة أنسب. كما يقول في إحدى مقابلاته . لهشاشته، ولاستمرارية عمله بعيداً عن تأثيرات باريس ونجومها. لكنّ أصداء صداقاته الباريسية العابرة، والنقاشات التي اكتشفها هناك حول القصيدة وطبيعة الشعر، ستبقى حاضرةً في هاتين المجموعتين، المشغولتين بحرفيّة صانعٍ يعتني بالصوَر والاستعارات والبلاغة. سيكون على الشاعر الانتظار بضع سنوات لتخليص قصيدته ممّا سيصفه لاحقاً بـ«القشور» و«الأقنعة»، تلك التي كانت تَحُول دون وصوله إلى ما يصفه بالحقيقة: الحقيقة الشعرية أو حقيقة التجربة. مجموعته «دروس»، أو «عبَر» (1969) تمثّل وثيقةً حول هذا التغيّر، الذي لم يجرِ بشكل غير واعٍ، بل كان حصيلة انتباه الشاعر ورضاه عن بداياته. في القصيدة التي تفتتح هذه المجموعة، يستحضر جاكوتّيه تلك البدايات المأخوذة بالبلاغة والصَّنعة، حيث يكتب: «قديماً/ زعمتُ أنّني دليلُ المحتضَرين والموتى/ أنا الخائف، الجاهل، الحيّ بالكاد/ أنا الذي بالصُّور كنتُ أعطي عينَيّ». وهو إذ يتحدّث، هنا، عن الخائف والجاهل، فإنه يحيل إلى عنوانَيْ مجموعتيه الأوليَيْن، حيث يكفي، في الفرنسية، تحويل كلمة بوما (L›Effraie) إلى صيغة الماضي (L›effrayé) لتعني «خائف» أو «مذعور». ويُنهي الشاعر هذه القصيدة بالقول: «الآن وقد خَبَا المصباح/ وباتت اليدُ أكثر تيهاً وارتجافاً/ أعود مرّة أخرى، ببطء، إلى الريح».

هذه النقلة، المسنودة بإقامة الشاعر في بلدة محاطة بالطبيعة وبساطتها ـ لن تكفّ أعمال جاكوتّيه اللاحقة عن التذكير بها، وعن التفكير بانشغال الشاعر سابقاً بالقشور بدلاً من اللبّ: بدءاً من «تضاريس باشكال غائبة»، الذي أصدره في العام التالي (1970)، وبدأتْ فيه كتابته بالانشغال بالفوريّ والمحسوس، أي بما تراه العينان ويحسّ به الجلد والأنفُ الآن وهنا، وحتى المختارات التي وضعها بنفسه، وصدرت عام 2011 لدى منشورات «غاليمار»، تحت عنوان «سيكون الحبرُ ظلّاً . ملاحظات ونثر وقصائد، 1946 ـ 2008».

في هذه المختارات، المؤلّفة في جزء كبير منها من مقتطفات، لا من قصائد كاملة، لم يضعْ جاكوتّيه من بداياته إلّا مقاطع يغيب فيها، نسبياً، عمَلُ ما يسمّيه الفلاسفة بالفاهمة. أي يغيب فيها الذكاء، أو التذاكي، بالإحرى، وكذلك الاجتهاد؛ وتغيب العقلنة ومعها الصنعة وعناصرها. منذ 1969، إذاً، كفّت قصيدة فيليب جاكوتّيه عن كونها مشغلاً ضيّقاً للحِرفة. خرجت إلى الواقع الذي جاءت منه. اتّسعت، بتعبير الناقد والشاعر الفرنسي جان كريستوف بايّي، وصارت مساحةً هائلةً تضمّ ما كان سابقاً لا يُعتبر شعراً. وهذا ما يجعل ملاحظات الشاعر السويسري ويومياته ونصوصه السردية، بل وحتى بعض مقالاته، تبدو شعراً بحدّ ذاتها، كما هو حال سلسلة يوميّات «البدّار»، في أجزائها الثلاثة، والتي تغطّي نحو خمسين عاماً (1954 . 2001)، أو «دفتر الخضار» (1990).

وعلى أيّ حال، ليست هذه النقلة، من الاستعاراتيّ والصُّوَريّ إلى المحسوس والفوريّ، بتفصيل نُبالغ في الإطالة بالوقوف عنده. على العكس. ربّما أمكن القول إن كلّ شعر فيليب جاكوتّيه، أو شعريّته، تقيم في هذه الحركة، في هذا الخروج من البهرجة إلى الخفوت، ومن اللعب بالكلمات على أرض من المخيّلة إلى استقبال التجربة الآنية في القصيدة. إنّها تكمن، بعبارة أخرى، في التوقّف عن القفز، ذلك القفز الذي يرى جورجيو أغامبن أنّه ميزة الشعر (الكلاسيكي)، وفي انحنائها أكثر نحو الأرض، مقتربةً منها ومن عناصرها، من حفيفها الخفيف، بقليل من الحركة، أو بلا حركة ربّما: الأرض وحدها تتحرّك، أحياؤها وأشياؤها تتحرّك أو تبقى ساكنة، والشاعر يسجّل.

> لم يكن راضياً عن بداياته وانشغاله بالصّوَر والاستعارات
>
> كلّ شعرية جاكوتيه تقيم في الخروج من البساطة إلى الخفوت

وصيّة أخيرة

تُصدر منشورات «غاليمار»، بعد غدٍ الخميس، كتابَين من توقيع فيليب جاكوتّيه، هما مجموعة شعرية وكتابُ ملاحظات حول ذبر لا كلارتيه نوتردام. باختياره «كتاب المادريغال الأخير» عنواناً لمجموعته الشعرية الأخيرة (الغلاف)، التي برمجتْ «غاليمار» صدورها قبل رحيله، يبدو الشاعر السويسري وكأنّه قد أراد لوصيّته الأخيرة أن تأخذ شكل قصائد. فصائد تحيد عناء عدد من أشهر النصوص الشعرية، من هوميروس إلى دانتي وإوناغاريتي.

فيليب جاكوتّيه (تصوير لوي مونييه)

صوت جديد

أفهم الكتابة كفعلٍ علاجيّ

علي قادري

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

حيفا ـ العربي الجديد

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

أفهم الكتابة كتجربة ذاتيّة فرديّة وكفعل علاجي. أستطيع من خلال الكتابة أن أعيش حياةً أخفّ وطأة من ضجّة الواقع، وأن أصنع معاني جديدة لعلاقتي بذاتي ولعلاقتي بالعالم والوجود. لا أؤمن أنّ هناك كتابة قديمة وكتابة جديدة، إلاّ إذا كنّا نتحدّث عن الشّكل. المعاني واحدة وهي مطروحة في الطّريق كما يقول الجاحظ، ولكنّ الأفكار والصّور والأشكال تتلاطم وتتناحر، تائتلف وتتنافر، وهذا ما يصنع كتابة جديدة.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

أعتقد أنّ مسألة الجيل الأدبي مسألةٌ منطلقة من أثر السّياق السّياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ العام. لا أدري إن كنت من جيل أدبيّ له ملامحه. أتابع ما يكتبه شعراء جيلي، والملحوظ من سمات جيلنا أنّنا جيلٌ تبخّرت أحلامه باكرًا، بعد إجهاض النّظام الرأسماليّ العالميّ بتحالفه مع أنظمة الاستبداد على ما تبقّى من الفعل الثّوريّ، لتتحوّل كتاباتنا بمعنى من المعاني إلى كتابة هجائية في مَحاها الثّيماتي العام. على الصّعيد الفلسطينيّ، نعاني من ظاهرة الشّلليّة الثّقافيّة النّخبويّة؛ كلّ فئة لها لونها وملامحها الهجائيّة الذّاتيّة والموضوعيّة. أحاول جاهدًا ألاّ أكون جزءًا من المشهد الثّقويّ، وقد يدفع الشّاعر ثمنًا ما جراء هذا الخيار، مع أنّني لا أشعر بأيّ ضيق. أحاول أن أعالج نفسيّ من وحشيّة الواقع بالشّعر، ولا يعنيني كثيرًا الجيل الأدبيّ، وإن كان هذا الكلام يبدو سرياليًا، إلاّ أنّه حقيقة. فهمي للشّعر الذي أكتبه. طبعًا، أحترم أصواتًا شعريّة من جيلي الأدبيّ، لأنّني لست منفصلاً بالتّمام عن حساسيّة هذا الجيل وعن مرجعيّاته الثّقافيّة والأدبيّة.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

إذا كان المقصود هنا الأجيال السابقة في مسيرة الشّعر الحديث المعاصر، فقد حاولت أن أعاين جزءًا من المنجز الشّعريّ الحديث، العربي والفلسطينيّ، من بدر شاكر السّيّاب حتّى محمود درويش. علاقتي مع هذا الجيل من الشّعراء هي علاقة هدم وبناء. أعود لقراءة منجز الشّعراء كلّ مدّة، وأكتشف أنّ القليل من الشّعر يستطيع العيش في هذا العصر، بخلاف التّراث الشّعريّ القديم مثلاً، من الجاهليّين إلى الأمويّين والعباسيّين. الكثير من الأصالة في التّراث، والقليل من الحياة في المعاصر. ولا بدّ من أن أشير إلى تجارب الشّعراء الصّوفيّين كظاهرة إبداعيّة وإشكاليّة في أن في الشّعر العربيّ، اكتشفت كذلك أنّ علاقتي بالشّعر العالميّ من الشّرق الأدنى حتّى أميركا اللاتينيّة منقوصة بسبب قلّة الاطّلاع، وأحاول منذ مدّة أن أقرأ ما يتوافر عندي من ترجمات تكون موفّقة. فأنا أعتقد أنّه لا يمكن للشّاعر العربيّ أن يدّعي أننا نقدّم شعرًا كونيًا من دون الانكشاف على ما يُكتب أو كُتب عالميًا، ومن دون مراقبة الحساسيّات الجماليّة والفنيّة والثيماتيّة عند شعراء العالم.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقة مضطربة. لدينا مشكلة جديّة في أنّ المحليّ ليس صداميًا وجريئًا إلى الحدّ الذي يجعل من ثقافة المضطهدين والمقهورين تتمايز كثقافة مقاومة، ولتكون قادرة على عبور الحدود، وأن ترفع الحصار الثقافيّ عنها. الببيئة

> علاقتي مع الأجيال الشعرية السابقة هي علاقة هدم وبناء

بطاقة

من مواليد قرية نحف، في الجليل، عام 1987. شاعر ومعلّم للغة والأدب العربيين في المرحلة الثانوية في نحف. يعمل محرّرًا أدبيًا في مجلة «الغد الجديد» الثقافية. صدرت له مجموعة شعرية بعنوان «ثلاثون خرابًا وجثّة»، عام 2018، وعدّة قصائد منفردة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

علي قادري

قصيدة

لديه حكاية حقيقية يرويها

أقمار على الأشجار

لورانس فيرلنغيتي

جمع الشاعر الأميركي لورنس فيرلنغيتي، الذي غادر عالمنا قبل أيّام، بين كتابة الشعر والسرد والمسرح والنقد الفنّي والكتابة السينمائية والترجمة. وعُرف إلى جانب كلّ ذلك بمواقفه الراديكالية ضدّ سياسات بلاده الرسمية؛ حيثُ ظلّ صوتُه حاضراً بشكل مستمرّ في الكثير من الحركات المناوئة لتلك السياسات.

ولعلّ ذلك الربطَ المستمرَّ بين تجربتَيه النضالية والإبداعية قد أسهم، بشكل ما، في حجب فيرلنغيتي الشاعر. يُدلل على ذلك أنّ خطابه السياسيَّ كثيراً ما كان مدخلاً إلى قراءته.

لا يُقلّل ذلك بالتأكيد من أهمية فيرلنغيتي، كواحدٍ من الكتّاب المؤثّرين في الثقافة الأميركية المعاصرة، وهو الذي ينتمي إلى «جيل البيت» إلى جانب أسماء بارزة؛ مثل آلن غينسبرغ، ووليام بوروز، وجاك كيروك. لكنّ اللافتَ أنّ ما تُرجم من كتاباته إلى اللغة العربية لم يزد عن قصائد متفرّقة هنا وهنا.

هنا ترجمةٌ خاصّة بـ«العربي الجديد» لواحدة من قصائده:

كلب

يعدو الكلب طليقاً في الشارع
فيرى الحقيقة
والأشياءُ التي يراها
أكبر منه حجماً
والأشياء التي يراها
هي حقيقته
سُكّارى في المداخل
أقمارٌ على الأشجار
يعدو الكلب طليقاً في الشارع
والأشياء التي يراها
أصغر منه حجماً
أسماكٌ على ورَق الصحف الرخيص
نملٌ في التجاويف
دجاجاتٌ في نوافذ الحيّ الصيني
تلوحُ رؤوسها في الجوار
يعدو الكلب طليقاً في الشارع
والأشياء التي يشمّها
لها رائحةٌ تشبه رائحته
يعدو الكلب طليقاً في الشارع
فيمرّ ببزك ماءٍ وأطفال
قطط وعلب سجاير
دُوَر قمار ورجال شرطة
إنّه لا يمقّت رجال الشرطة
ولكنْ بكلّ بساطة لا فائدة تُرجى منهم
فيتجاوزهم
ويتجاوز الأبقار المتّئدة المعلّقة فوق الجميع
أمام سوق سان فرانسيسكو للحوم
إنّه يفضل أكل بقرة غضّة
على أكل شرطي متصلّب
ولو أنّه يفعل ذلك مع الاثنين
ويمرّ بمصنع «روميو رافيولي»
ويتجاوز برج كُوْيْتْ
ويتجاوز دويل، عضو الكونغرس
إنّه خائف من برج كُوْيْتْ
لكنّه ليس خائفاً من دويل عضو الكونغرس
على الرغم من أنّ ما يسمعه مثبّطٌ للغاية
محيط للغاية
عبثيٌّ للغاية
بالنسبة إلى كلب صغير حزين مثله
لكلب مهموم مثله
لكنْ لديه عالمه الطليق ليعيش فيه
وبراغيثه ليأكلها
لن يكون مكمّماً
ودويل عضو الكونغرس مجرّد مضخّة
إطفاء أخرى
بالنسبة إليه
يعدو الكلب طليقاً في الشارع
وله حياةٌ كلبه الخاص ليعيشها
وليتأمّل
ويتأنّى
في لمس وتذوّق واختبار كلّ شيء
والتحقّق من كلّ شيء
دون احتمال الحنث باليمين
إنّه واقعيّ حقيقيّ
لديه حكاية حقيقية يرويها
وذيل حقيقيّ يرويها بطريقة
حقيقية نابضة بالحياة
إنّه كلبٌ ديمقراطي
نبّاح

(ترجمة عن الإنكليزية: أحمد م. أحمد)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

لورانس فيرلنغيتي في منزله في سان فرانسيسكو، 2018 (Getty)

فعاليات

حتى نهاية الشهر المقبل، يتواصل في «هيئة الآثار والتراث» ببغداد معرضٌ للقطع الأثرية المكتشفة حديثاً في العراق. يضمّ المعرض، الذي افتُتح الخميس الماضي، أواني فخّارية وحليّاً وأسلحة وأدوات منزلية وتماثيل ومسلّات يعود أقدمها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، المسمّى **عصر فجر السلالات**.

الأقليات وتصاعد خطاب الكراهية في الغرب: الأسباب والحلول عنوان الطاولة المستديرة التي تنظّمها «جامعة حمد بن خليفة» بالدوحة عند الرابعة من مساء بعد غد الأربعاء. يناقش المشاركون عقدة تفوق البيض والجهل بالآخر وانتشار الخطاب اليميني الشعبوي، ومنهم: **إبراهيم النعيمي**، و**فرناند دي فارين**، و**عزة كرم**، و**متري الراهب**، و**عبد الحكيم مراد**، و**جوسلين سيزاري** (الصورة).

يُفتتح في «الغاليري الوطني» بلندن، السبت المقبل، معرض **رحلات دورر: أسفار فنان عصر النهضة**، ويدوم حتى الثالث عشر من يونيو/ حزيران المقبل. يتّبع المعرض رحلات الرسام الألماني (1471 - 1528) في أنحاء أوروبا وما قدّمه خلالها من لوحات ومطبوعات وخطابات ترتبط بعدد من الأماكن والشخصيات.

يقيم «مسرح الزمالك» في القاهرة، عند السادسة من مساء السبت المقبل، حفلاً للموسيقي الأردني الفلسطيني عزيز مرقة الذي يقدّم مقطوعات من «الراز» الذي يجمع فيه بين موسيقى الروك والجاز، بموتّرات شرقية، ومنها: **مين قلك**»، و **كتير عادي**، و **لا تخاف من اللي جاي**، و **ببساطة**، و **نهاية العالم**.